

البطل والحلوى

سرميت زهينة
بقلم: نديم خضفة

« اننا لا نقول الاشياء العظيمة ، ولكن ... نحياها » .

المنظر

(قاعدة تمثال في ساحة عامة .. صاحب التمثال جالس على الارض وقد أسند ظهره الى القاعدة القائمة في الظلام .. الضوء يسقط على قدميه ، وقد اختفى جسمه في ظل خفيف) ..

.. . .

التمثال - آه .. لم اكن اظن الجلوس مريحا من قبل .. ان المرء اذا ألف الشيء زهد فيما عداه .. وددت لو ارى ذلك النحات الذي صنع هذه القاعدة الرفيعة كالمسار .. انها لا تصلح حتى للجلوس فوقها قليلا .. ما قيمة القاعدة اذا انت لم تجلس فوقها ؟ .. (يفرك اصابع قدميه) يقترب خيال من بعيد حتى يلصق صدره بالقاعدة بحيث يكون وراءها ولا يظهر الا شطر جسمه .. ويسقط النور على طرفه الايسر) ..

الخيال - وانك لا تجلس فوقها مع ذلك ..

التمثال - من انت ؟ .. اقترب الى النور لاراك ..

الخيال - النور عند موطئ قدميك .. لسن اقترب من موطئ قدمي احد ولو كان النور عندهما ..

التمثال - انك جريء ، ولك نظرة في الحياة .. لملك النحات الذي صنع القاعدة .. انه لا يجرو على نبذ النور الا فنان او مجنون .. تفضل بالجلوس على القاعدة اذا كنت تكره النور .. اني اكرمك .

الخيال - هل تنتقم من النحات الذي صنعها ؟

التمثال - ولكن ، بحق الله ، لم تكون القاعدة رفيعة كالمسار ؟

قد يفكر التمثال في الجلوس قليلا .

الخيال - انها لم تصنع لتمثال عادي .. لقد صنعت لبطل فقدته البلاد .. لشهيد .

التمثال - كم اود لو ارى شهيدا ، او بطلا ، ولو لم يمّت ..

الا تجلس ؟

الخيال - انني لست النحات على اي حال .. واكره الجلوس على قاعدة ليست لي ، خصوصا اذا كانت ملكا لشهيد .. ألا تقوم الى مجلسك ؟ فقد يأتيك زائرون ..

التمثال - وما يفصل الزائرون غير حفر اسمائهم على عقب حذائي في غفلة من الحارس ؟

الخيال - لعلهم يطلبون الخلود ..

التمثال - بحفر اسمائهم على حذاء تمثال ؟

الخيال - هذا ما قدروا عليه .

التمثال - ولكن ليس فيه بطولة .. الا اذا كانت مخالسة الحارس بطولة ..

الخيال - ماذا تريدون ان يفعلوا ليصبحوا ابطلا مثلك ؟

التمثال - لا تثر غروري .. ايها الرجل .. ولكنك لم تقل لي

من انت .. ألا تقترب لارى وجهك (يرفع جسمه على يديه ويتأمل وجهه) .. آه هذا الوجه أعرفه ..

الخيال - كان يجب ان يكون منقوشا ..

التمثال - في ذاكرتي .

الخيال - لا .. على قاعدة هذا التمثال .

التمثال - كنت اظنك رجلا تختلف عنهم ، فاذا انت مثلهم تتمنى ان تكون بديلا مني .. ولكنني اعطف عليك رغم ذلك ، ماذا افعل لك ؟ .. هل تريد ان تحفر اسمك ؟ .. اقترب واحفر اسمك على صدري ان شئت .. ان الحارس نائم عنك الان ..

الخيال - ولكن اسمي محفور في ذاكرة بطل وهذا حسبي من الخلود ..

التمثال - بطل .. سأقول لك سرا (يلتفت حوله) ان البطولة يا بني ، هي ان تستخف بقيود الحكمة لا ان تخضع لقاعدة اراذك عليها الناس ..

الخيال - اراك تفعل شيئا من هذا ..

التمثال - تعني نزولي عن هذا المسار الذي يدعونه قاعدة ؟ .. ألم تسمع قول الشاعر :

« ان البطل لا يعيش على الحلوى .. »

« انه يأكل قلبه كل يوم .. »

« انما غرف العظماء سجون .. »

« والرياح العاصفة تصلح لسفن الملوك . »

(الخيال يضحك) .. مالك تضحك ألم يعجبك قوله ؟

الخيال - ارني لبطل نشيء في الحلية ، وغذي بالحلوى .. التمثال - .. لقد فعلت شيئا اكبر من هذا .. ولم اكن مولعا بالحلوى كما اشيع عني ..

الخيال - هناك ، قبل ان تكون بطلا ؟

التمثال - كانت الامة تنتظر مني شيئا عظيما .. كنت انوي

ان

الخيال - كنت تنوي اذن ؟! اسمع يا عزيزي - انما الاعمال بالنيات كما يقال الا في امرين اثنتين : البطولة وانجاب الاطفال ..

التمثال - انك تدنس البطولة حين تفرنها بهذا الامر ..

الخيال - ألا تظن الزوج بطلا حين يتجنب أطفاله ، انه يفخر بهم كانه صنهم بيديه ..

التمثال - ولكنه لم يصنع شيئا .. انه كالدجاجة التي باضت نورا .

الخيال - كذلك البطل مع فارق بسيط هو : ان البطل لا يبصر، وينصع بذلك النفع الوحيد الذي يرجي منه .

التمثال - لا اظنك النحات الذي صنع القاعدة ، فان لك افكارا لا تجدها عند نحات سخيف أقصى ما عنده ان يصنع القواعد .. اراك تستند صدرك اليها كأنك تريد ان تحطمها .. نعم لن تكون بطلا اذا انت لم تنزع القيود التي يرسف فيها العبيد .. ولكن احذر ان تحطمها فقد تحدث ضجة تنبه الحارس اليك ..

الخيال - ولكن لا معنى للبطولة بغير ضجة تلفت الابصار اليك .. التمثال - بدأت أشك في معنى لهجتك .. فانت تعرف عني

اكثر مما ظننت .. لعلك تقصد تلك الضجة التي ارتفعت من حول بطولتي ؟

(يسقط من يد الخيال شيء له رنين)
 ... اما تزال تحتفظ بيدنارك العتيق ؟
 الخيال - انه من نحاس مثل تمثالك ..
 التمثال - كنت أظنه ذهباً ..
 الخيال - ذهب زائف .. ولكنه يجلب السعد ، كان أبي يحتفظ به في كيس نقوده .
 التمثال - .. وظل فقيراً مع ذلك ..
 الخيال - لا يهم .. المهم ان تؤمن بقدرة الاشياء ولو أخلفت ظنك حيناً ..
 التمثال - أرني اياه ..
 الخيال - لن يعجبك .. انك غير مولع بالاشياء العتيقة ..
 التمثال - كانت الاشياء الجديدة تبهرني دائماً .. ولكن لا بأس في النظر قليلاً الى شيء قديم .. فقد نجد فيه العبرة ان اخطانا التمتع .
 الخيال - تماماً .. كالنظر الى القبور الدائرة ..
 التمثال (يضحك) - او التماثيل القائمة (يتأمل الدينار) انه ككل الاشياء الاخرى ، له وجهان : وجه نطلع عليه وآخر قد غيب عنا .. هل تعرف الذي شبه المرأة بالقمر ؟ .. كم اود لو ارى وجهه الاخر ..
 الخيال - سمعت انهم رأوا وجهه الاخر ..
 التمثال - حتى هذا فعلوه ! .. لم يبق شيء لم يطلعوا على وجهه الاخر .. كم يكون مؤلماً لو اطلعوا على كل الوجوه الاخرى .. هل تعلم انني لم اكن احب الجلوس في الصف الاول من المسرح ؟ .. كنت ارى اجفان الممثلين قد كحلت ووجوههم موهت بالظلام ، وسالت بعض الوانها على بعض حتى بدت غاية في القبح .. ان النظر في الاشياء من قريب ينزع عنها كل جلال وهيبة ، ان البعيد جليل ومهيّب .
 الخيال - لذلك رفعوا التماثيل فوق رؤوس الناس ..
 التمثال - لا اظنك تريد ان يحرقوا في وجوهها الخشنة التي لم يرفع النحات عنها ازيميله الا بعد ان بدا له من العيش ان يستمر في تشويبهها ..
 الخيال - ولكن البعد يدعو الى النسيان الذي يتلوه الموت ..
 التمثال - ليتني اعرف ذلك السخيف الذي ادعى : « ان البعيد عن العين بعيد عن القلب » .. ان قربك من الشيء يدعوك الى الفته

الخيال - أقصد الضججة التي ارتفعت من حولك فأصبحت بها بطلاً ..
 التمثال - هذا قول خطير .. اياك ان تحدث بطلا بلهجة كهذه .. والا ..
 الخيال (يقاطعه) - غضب منك ثم .. بكى وسالت دموعه ففبرت لون تمثاله .
 التمثال (يرفع جسمه على يديه ويحديق فيه) آه .. انت اذن ؟ ألم اقل لك من قبل ألا ترجع الي مرة اخرى ؟ ..
 الخيال - وهل تفضلك زيارتي لك مرة كل عام ؟
 التمثال - لقد منعتك ..
 الخيال (يستمر) - انها ذكرى استشهادك .. القديسون انفسهم لا يفضيبون من زيارة الارواح الشريرة لهم مرة كل عام .. وانت - ما علمت - لست قديساً ..
 التمثال - وانت .. انظرن نفسك قديساً !
 الخيال - بل روح شريرة .. هذا ما يقوله الناس .. ولا اعرف نفسي الا في حديث الناس .. انهم الحياة . وهم انفسهم الذين صنعوا لك هذا التمثال وصلبوك الى هذه القاعدة ونقشوا على مواطء قديمك لقب البطولة ..
 التمثال - ليتهم نقشوه على صدري في موضع القلب ، ولم ينقشوه على موطاء قديمي كأنه القيد .. أحس بلهيب الكلمات يحرق قديمي وما يزال يرتفع حتى ينال من قلبي ، وأنا اسير لا يد لي في دفع اللهب ..
 الخيال (هازناً) - مثل « جان دارك » تماماً ..
 (التمثال يجمع ثوبه على صدره كالقروور)
 الخيال - هل تشعر بالبرد لانك نزلت عن القاعدة ولهييب كلماتها ؟ .. ان الجو دفيء ..
 التمثال - لا .. ولكنني أنحس الجرح الذي أحدثته طعنك في صدري ..
 الخيال - ألم يستطع النحات ان يخفي اثرها من صدرك ؟
 التمثال - لقد أزال اثرها من صدري فانحدرت الى قلبي وهي تنزف دماً .. على انه نحات فاشل كما قلت لك ..
 الخيال - ولكنني لا اعرف لك قلباً .. كنت دائماً بلا قلب ..
 اختي قالت ذلك في بكائها عليك .
 التمثال - بكت علي اذن .. كم أحببتي هذه الفتاة .. حتى بعد ان فعلت بها كل ما فعلت ..
 الخيال - كنت أحسبها تكرهك فاقدمت على طعنك لانقد سمعتها لانتم لها منك .. ولكنها بدأت تكرهني انا منذ ذلك الحين .. ان كل ما فعلته ضاع سدى .. طعنك لاضع منك فاذا انت تزداد ارتفاعاً ولم يطفء هذا حقدا تخيلته ولم أجن سوى اليقضاء ولم أفرع عن ذنبي بالموت فهي ما زالت تكرهني من اجلك حتى بعد ان رحلت عنهم وتركتم لهم عالمهم المغموس في الدم والطين ..
 التمثال - لم يمهلوك .. أمروك بالحاق بي لتؤنس وحشتي ..
 اما زلت تكرهني ؟
 الخيال - لم أكرهك في يوم من الايام .. ولكن حسبت انيه يجب ان افضل شيئاً يؤذيك ..
 التمثال - زالت كراهيتك اذن ؟ .. هل تعرف من قال : « ان الحب خالد والكراهية تموت كل يوم » ؟ .. لا شك انك تعرفه .. فانت قد قرأت كتباً كثيرة .. كنت تدرسي الفلسفة اليس كذلك ؟
 الخيال - شيئاً من هذا ..
 التمثال - لقد سمعته من شاب وفتاة جلسا عند القاعدة هنا .. وكانت غاضبة منه - وصدقت لحمقي ذلك - ولكنه تلفت ثم قبلها فتبسمت . فهمس لها بهذا القول .. ان الزوار يفعلون اشياء كثيرة اخجل منها .. ولكن لا يجب ان اخجل فما انا الا تمثال من نحاس ..

صدر حديثاً

الوجودية وحكمة السعوب

تأليف سيمون دو بوفوار

ترجمة جورج طرابيشي

دراسات عميقة عن الوجودية وعلاقتها

بالمجتمع والشعب وأثرها في الحياة عموماً

الثلث ١٧٥ قرشاً لبنانياً

دار الآداب

سلسلة المسرحيات العالمية

سلسلة جديدة تقدم فيها دار الاداب مجموعة رائعة من اشهر المسرحيات العالمية التي وضعها كبار كتاب المسرح

صدر منها :

١ - البقي الفاضلة وموتى بلا قبور

بقلم جان بول سارتر
ترجمة الدكتور سهيل ادريس والحامي جلال مطرجي
الثنى ٢٠٠ ق.ل

٢ - ماريانا

تأليف فديريكو غارسيا لوركا
ترجمه شاكر مصطفى

الثنى ٢٠٠ ق.ل

٣ - هيروشيما حبيبي

تأليف مرغريت دورا
ترجمة الدكتور سهيل ادريس

الثنى ٢٠٠ ق.ل

٤ - لكل حقيقته

تأليف لويجي بيراندلو
ترجمة جورج طرابيشي

الثنى ٢٠٠ ق.ل

٥ - تمت اللعبة

تأليف جان بول سارتر
ترجمة مجاهد ع. مجاهد

الثنى ٢٠٠ ق.ل

منشورات دار الاداب - بيروت

ثم نسيانه .. وقد اذكر ان امي كانت تبعث الي بالرسائل تفيض بالشوق ، فكنت اذا جئت اليها من سفري تلقيني باللهفة التي تنقص يوما بعد يوم حتى لا تكاد تتبادل كلمة واحدة النهار بطوله .. وكثيرا ما ضقت بالجلوس امامها صامتة ارقبها وهي تحيك صوفها ..

الخيال - اراك مولعا بحياتك العائلية ..
التمثال - انها الملجا الوحيد الذي يعصمني من زيف الحياة التي احاطت بي ..

الخيال - ولكنها حياة هادئة لا تلائم نفسك الشائرة التي فطرت عليها .. كانت روحك كالكرة لا تستقر على حال .

التمثال (مبتسما) - هكذا ؟

الخيال - ألم تهجر أختي لانك مللتها ؟ ..

التمثال - لم أملها .. ولكن وجدت الخير والقرب من الامل في زواج آخر فأثرته عليها .. ولكن الخير لم يأتي الا من قلبها .. ماذا يكون مصيري لولا انني أحببتها وان لها آخا غيورا مثلك ؟ ..

الخيال - هذا خطأك الذي ..

التمثال - اسمع .. ان بيننا اختلافا .. فانت ترى البطولة صراعا بينما أراها أنا انسجاما .. فليس في التمرد اي بطولة ، وانما البطولة في الخضوع والتلاؤم مع القوى الاخرى.

الخيال - ولكنك نصحت لي منذ وقت قريب بهدم القواعد والتمرد على القيود ؟

التمثال - هذا كلام نقوله - نحن الابطال - للناس من حولنا لانهم ينتظرون منا شيئا رائعا يشعروهم بتفوقنا عليهم وامتيازنا منهم .. والا ندموا على ما انفقوا في سبيل تمثال يقام لنا ويجعل عليه الحرس الشديد .

الخيال - فانت لا تقول - اذا نصحت - بالتمرد والعنف !!

التمثال - ما جدوى التمرد حين تستطيع ان تنال باللين

ما تشاء ؟

الخيال - يا لك من بطل وديع !.. أنا نادم لانني لم اتصرف اليك من قبل ان .. اقتلك .. ان الصورة تختلف عن اصلها جدا ..

التمثال - لو احضرت قولبي فهمك ، وتفكرت فيما تقضى من عمري وعمره لوجدت في قولبي حقا كثيرا .. فقد نلت انا باللين والانخزال ما لم تله انت بالعنف والاقدام ..

الخيال - وهل تعد هذا (يضرب بكفه على القاعدة) يستحق شيئا ؟

التمثال - لا .. ولكن الناس الذين تعيش في قلوبهم هم كل شيء ..

الخيال - اوه .. لقد تأخرت .. أنا متأخر دائما ، علي ان اذهب فقد يسألون عني هناك ..

التمثال - في مملكة الارواح ؟ .. (صمت) .. ألن تزورني العام القادم ؟ ..

الخيال - قلنا كل ما يمكن ان يقال .. سأذهب .

التمثال - اني أحس بالوهن يسري في جسدي كله .. ألا تعينني على الصعود الى القاعدة ؟

الخيال (يمشي الى الوراء خطوات) - لا .. يكفي ان اعتنك على النزول في أعماق نفسك .. (يختفي في الظلام) .

التمثال - لا تذهب (بصوت عال) نسيت ان اقول لك : انني احبك .. هل تسمع ؟ لم اعد اكره احدا .. حتى نفسي .

صوت الحارس (من بعيد) - من هناك ؟

التمثال - لا احد .. بطل قديم يحدث ضميره بصوت مرتفع قليلا ..

نديم خشفه

جامعة دمشق